أ- المرحلة الزهدية:

المدرس المساعد : حسين رسن عبدالحسين

husseinraassn@uomustansiriyah.edu.iq

يرى الباحثون ان تلك المرحلة كانت ممتدة للقرنين الاول والثاني الهجريين وان التصوف تطور عن الحالة الزهدية في الاسلام لمرحلته الاولى ويستدل بذلك من خلال الاقوال والتناول للموضوع الزهدي وتعريفهم له ، ولهذا نقول ان الزهد جزء وركن اساسي في التصوف وليس التصوف هو تطور للزهد بل جانب روحي لكل انسان، حيث كانت لمجموعة من العوامل الاساسية قد ادت الى ظهور حركة الزهد بين المسلمين ، وقد ذهبوا في ذلك الى الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تحث على الابتعاد عن ملذات الدنيا والزهد فيها فقد ورد في القران الكريم آيات عديدة تدل على الزهد في الدنيا وكما وردت ايضا احاديث نبوية كثيرة في ذلك إذ ان القران الكريم يعج بالآيات التي تحث المسلمين على العبادة والورع والتقوى والتبتل والتهجد، والى عامل اساسي اخر هو الوضع السياسي والاجتماعي الذي شهدته الامة الاسلامية بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان وما شهدته من احداث واضطرابات وتبع كل هذا اضطهاد لآل البيت وتشريد وتقتيل وكبت للحرية الشخصية لم يسبق له مثيل، وقد دفع الكثير من اتقياء الامه الى الانعزال والعبادة هاربين من فتن السياسة بعدما أقبل الكثير من الناس الى حياة البذخ والترف ، ومبتعدين بذلك عن الجوانب الروحية العبادية الموجودة في الاسلام.

لقد كان التصوف الاسلامي ومنذ بدايته الزهدية في صدر الاسلام قد اتخذ الجانب المعارض ضد السلطات القائمة التي جاءت كردة فعل على الاوضاع السياسية والاجتماعية إذ أدتْ الفتوحات الاسلامية ايضا الى حدوث تفاوت طبقي كبير قد القى بظلاله على المسلمين المتمسكين بالدين والمثل العليا مما ولد لديهم شعورا بالاغتراب، ومواقف رافضة ومعارضة من الحياة والسلطة قهروا بها سلطة النفس الداخلية وسلطة السياسة الخارجية فكان للنقد اللاذع لابي ذر الغفاري البداية الاولى للتصادم الزهدي مع

السلطة حيث لم تتحمل السلطة السياسية الحاكمة انذاك لهذه الممارسة الناقدة عاملة على نفيه وابعاده إذ سعت السلطة للوقوف بوجه المعارضة والتي تذرعت بذرائع ظاهرها دينيا وباطنها كان سياسيا.

لقد نشأ الزهد الاسلامي كما نشأ في المجتمعات الاخرى التي سبقت الاسلام والتي تعرضت لظروف وعوامل مختلفة دينية وسياسية ونفسية وغيرهن، ظهرت مدارس زهدية عدَّة في تلك المرحلة في البلاد الاسلامية بالمدينة والكوفة والبصرة وفي مصر وخراسان اذ كان لها رجال بارزون قد مثلوا تلك المدارس الزهدية كالحسن البصري، الفضيل بن عياض، وابراهيم ابن ادهم وغيرهم.

فضلاً عن ذلك فان الزهد الاسلامي استند الى ركنين عظيمين وهما القران والسنة النبوية مستمدا حقيقته ومتبلورا في نطاقه ، لكن البعض من الدارسين للتصوف الاسلامي وخصوصا المستشرقين منهم يرجعون حركة الزهد الى الديانة المسيحية واثرها على زهاد المسلمين واستلهامهم لتلك الافكار والعبادات وعليه فلا صحة لنسبة الزهد الاسلامي الاول الى الرهبنة المسيحية او غيرها فهذا امر مشترك في كل عقيدة

لم تكن صورة التصوف واضحة في تلك المدّة حيث كانت الحياة الزهدية صورة من صور الحياة الدينية التي يمتلكها افراد من المجتمع المسلم المتأثر بالجوانب الروحية والعبادية الاسلامية ، اذ لم يعنِ لأصحابها ان يضعوا اي قواعد نظرية لها ، فلم يتم اطلاق اسم المتصوفة على شخصيات تلك المرحلة بل سموا بأسماء متعددة كالنساك والعباد والقراء وما الى ذلك من المسميات، منتقلا في تلك المرحلة الزهدية من الخوف من الله الى الحب الالهي وذلك على يد الرابعة العدوية فاصبح الحب والعشق الالهي عند المتصوفة كالاسطرلاب ــ حسب تشبيه المتصوفة ـــ الذي يكتشف اسرار السماء للانسان، فالعشق الذي يكون بعمق وباطن روح الصوفي يكشف له اسرار السماء المعنوية